بدل رفو: الشاعر الرحالة صديق شفشاون

عبدالحي مفتاح (اعلامي مغربي)

شفشاون \ المغرب

بدل رفو المترجم والشاعر والصحفي الكوردي المقيم بالنمسا منذ بداية تسعينات القرن الماضي، بعيدا عن بلاده كوردستان/العراق، التي عاش فيها براءة الطفولة، وعنفوان الشباب وأحلامه، وأيام الدراسة وليالي التحصيل، وزمن نحت الأفق الرحب...، إنسان مبدع هده وجع الحنين ولفه غبش الغربة..، وجد في ترحاله، المتأصل في عروقه، حول العالم عندما حل بشفشاون بلسما لجراح الحنين ووجع الذكرى (...شفشاون سفر وترحال من دون وجع وانتظار، شفشاون...).

شفشاون المدينة الأندلسية المشتهاة (...شفشاون شيدت للأندلس خيمة، ولغرناطة مأوى ودمعة...) احتضنت، بجبالها الصامدة ومائها الرقراق وخضرتها المرتعشة ودروبها البيضاء النيلية... وبسطائها وفنانيها وشعرائها...،كثدي مريم بدل رفو فسرى عسل حليبها في روحه ليتحول إلى عشق متبادل وولد مطهر(...شفشاون يا بلادا أسري في دمها وتسري في دمي...).

بدل رفو رحالة من القرن الواحد والعشرين، يسافر ليس بحثا عن المال و الثروة والمغانم... كما القراصنة القدامى والجدد، إنه يحمل سكنه على كتفيه، يرافقه عصاه السحري مسترشدا بأحلامه الجميلة، مسكونا في وعيه وإبداعه، حديثه وصمته، وحله وترحاله...بقضية، يرنو بزهد وتواضع وثبات إلى حياة محبة وسحر جمال وأرض سلام (...لامكان للندم في بلاد العشق والسلام (...) شفشاون قمم سلام، وبلاد الشعراء، وجنون الجمال، شفشاون...)

شفشاون مدينة جاذبيتها سرلا ينفذ، رغم التقلبات المقلقة والتشوهات المنفرة والمنذرة، هام بها في صمت الكثيرون، فبقيت نجمة مضيئة في أعينهم في خضم ظلمات التلوث والضجيج، وحروب الاستهلاك والقبائل، لذلك فبدل رفو يعتبر حب المدن أشد عصفا- ومن الحب ماقتل- من حب النساء، حيث لايمكن لمدينة أن تعوض له حب أخرى، و حبه لشفشاون لا يأبه بالعسس والعذال بل، بالعكس، فهو هيام صادح يعلنه للعالم من خلال كتاباته شعرا ونثرا، ومن خلال الصورة كلغة نافذة للعصر، وبذلك استحق أن يكون أحد سفراء شفشاون الأثيرين من بين أصدقائها ومحبيها الأوفياء، يقول الشاعر في إحدى قصائده:

(شفشاون..مدينة قدرها

أن تحيا في قلب شاعر كوردي رحال

قال عنها ..مالم يكتب
ويقل عن مدينة في الترحال!!..)

المدينة بادلته وفاء بوفاء، وصدقا بصدق، وحبا بحب، حيث تآلفت قلوب نخبة من أبنائها على صداقته كالفنان محمد حقون، والشاعر عبدالكريم الطبال، والشاعر والصحفي عبدالجواد الخنيفي، والفنان عبدالمجيد أزراف، والفنان حكيم عزوز، والفنان عدنان حقون، والفنان محمد عسو، والفنان عزيز أسعود...، ليس هذا فقط، بل إن عرى الصداقة امتدت بينه وبين الكثير من بسطاء هذه المدينة، فانجلت الغربة عن الغريب وأصبح واحدا من أهل هذه الحاضرة المغربية في الحضور والغياب، وسرت لكنته الكوردية الحلوة بين طرقه ودروبها، وسكنت روحه العذبة في أماكنها، و فاح عطر طيبوبته المشعة في أجوائها، وعلت قصائده السهلة الممتنعة التي تمتح نسغها من تجربة حياة غنية، وأفقها من رؤية شعرية ملتزمة بقضايا الوطن والإنسان، وخاصة تلك التي تحتفي بشفشاون تاريخا وإنسانا وأفقا، منابرها الأدبية.

التجربة السندبادية لبدل رفو تجربة ذات أبعاد إنسانية تعلو على العصبيات والهويات المغلقة والقبائل، وتبشر بمعنى آخر للوجود وللتقارب بين بني البشر يتخطى الحدود التي ترسمها الخرائط الرسمية، ومدينة شفشاون تشهد بذلك كمدن العالم الأخرى التي حط رحاله فيها شرقا وغربا...فطوبى لك يا بدل، يا رمزا للانسان الشرقي الجديد، شرق المستقبل...؟ !